الإيمانُ الكَامِلُ

شَرْطُ لِقبولِ العَمَلِ الصَّالِحِ

((رُؤْيةٌ قُرآنيّة))

الشيخ الدكتور منصور مندور
من علماء الأزهر الشريف

فحوى البحث

مــاذا يعنــي (الايمان) وما هــي حــدوده ومتعلقاته و كيف يتحقق عند الانســان الذي يقف في صــف المؤمنين، وهي يكفي الايمان بالله وحده من دون الايمان برســله أو هل يجزيء الايمان بالله وبالرســل عن العمل الصالح الذي يكــون مظهراً جليا لهذا الايمان..؟.

اســئلة يطرحها الســيد الباحث على من يدّعــي الايمان بالله وكتبه ورسله، ليخلص الى ان الايمان وحدة متكاملة الحلقات يشدّ بعضهــا بعضا ويعضد احدها الآخر. ويلحظ القاريء قلة المصادر التي اعتمدها الباحث و التي لاتعدو الخمســية فقط لأن البحث عَقَدي استدلالي اكتفى فيه الباحث بالقرآن الكريم مصدراً رئيساً

تقديـــــم:

شاع في الآونة الأخير بين بعض من ينتسبون إلى أهل العلم أن مفهوم (الإيمان) يقتصر على الإيمان بالله تعالى فقط دون الإيمان برسله، وأن هذا الإيمان -بهذا المفهوم- كافٍ لدخول صاحبه الجنة!!!

وسواء قالوا هذا الكلام تزلفًا وتقربًا أو مجاملةً لأحد، أو قالوه عن سوءِ فهمٍ؛ أقولُ لهم: تعالوْا لنرجع إلى القرآن المجيد ونحتكم إليه باعتباره آخر خطاب السماء إلى أهل الأرض، وأننا مطالبون -عند الاختلاف- أن نرجع إليه ونحتكم إلى حكمه ونمتثل أمره ونجتنب نهيه؛ فهو القائل: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾[سورة الشورى: ١٠].

هذا هو المنهج الذي اختاره الله تعالى لعباده في حياتهم الفردية والجماعية، وفي نظام حياتهم ومعاشهم، وأخلاقهم وسلوكهم، وبيّن لهم هذا كله بياناً شافياً وافياً، وجعل هذا القرآن دستوراً شاملاً لحياة البشر فإذا اختلفوا في أمرٍ ما أو شيءٍ ما؛ فعليهم أن يرجعوا إلى كتابه الذي أنزله شافيًا كافيًا مفصلاً تبيانًا لكلّ شيء.

فماذا يقول كتابُ ربِّنا عن الإيمان الكامل؟.

بدايةً أقولُ وبالله التوفيق: تُشتقُّ كلمةُ (الإيمان) من الفعل آمن، ومعناه التّصديق، فيقال على سبيل المثال: آمنَ فلانٌ بالفكرةِ أي صدّقَ بها واقتنعَ بها اقتناعاً نابعاً من قلبه؛ وقد ورَد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [سورة يوسف: ١٧]؛ أي: بمصدِّق.

أمّا معنى (الإيمان) في الاصطلاح فهو الاعتقاد القلبيّ الجازم بالله تعالى والتّصديق بالرّسالات السّماويّة، والملائكة، والكتب السّماوية، ورسل الله، والتّصديق باليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وتلك أركان الإيمان.

وهي التي أكدّتْ عليها آيةُ سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾[سورة البقرة: ٢٨٥].

فالمسلم لا يكتمل إيمانُه حقيقةً بدون

أن يؤمنَ بأركان الإيمان وأصوله، وكذلك أن يربط هذا التّصديق والاعتقاد القلبيّ بما استوجبه عليه ربّ العزة سبحانه من عباداتٍ وأخلاقيّات ومعاملات، فلا يصحّ من رجلٍ أو امرأة أن يقول: إنّ إيماني عظيم؛ وتراه في سلوكيّاته وأفعاله بعيداً كلّ البعد عن معاني الإسلام وقيم الإيمان، فمن صحّ إيمانه صحّ عمله.

ومِن ثمَّ فإنّ الإيمان الكامل يستوجبُ ما يلي:

أولاً: الإيمان بأنّ الله تعالى هو الحي القيوم الخالق المدبّر الرّازق المحيي المُميت، وأنّه وحده سبحانه وتعالى هو المستحقّ للعبادة والإنابة القائمة على أساس التوحيد الخالص لله تعالى؛ ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد: ١٩] إنه طريق العلم والمعرفة واليقين والتوكل، والشعور برقابة الله تعالى وعلمه الشامل المحيط بكل ما في الوجود، وقد لخصت سورة الإخلاص هذا المعنى فقال سبحانه: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[1] فليس هناك حقيقة خالصة إلا حقيقته؛ وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي الخالص، ومن ثم فإن هذا المعنى يربط بين القلب البشري من ناحية وبين كل موجود برباط الحب والأنس والتعاطف والتجاوب من ناحية أخرى؛ وصورة التوحيد في العقيدة الإسلامية تقوم الحياة على أساسها، وتبدو آثارها في التشريع كما تبدو في الاعتقاد كما تبدو في الأخلاق والسلوكيات، كما تُترجَم في المعاملات.

ثانياً: الإيمان بالملائكة يستوجب التّصديق بكلّ الملائكة الذين خلقهم الله سبحانه وتعالى ومحبّتهم بدون تفريق بين أحدٍ منهم، وأنهم: ﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ [سورة التحريم: ٦] وليس الأمر كما زعم اليهود بأن جبريلَ عدوٌ لهم، وأن ميكائيلَ وليٌ لهم، قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ

(١) (قل هو الله أحد) لفظ أحد أدق من لفظ «واحد» لأنه يضيف إلى معنى «واحد» أن لا شيء غيره معه وأن ليس كمثله شيء.

﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾[سورة البقرة: ٩٧ –٩٨].

قال القرطبي في تفسيره للآية: وهذا وعيد وذم لمعادي جبريل عليه السلام، وإعلان أن عداوة البعض تقتضي عداوة الله لهم[٢].

وقال ابن كثير في تفسيره: أي: من عادى جبريل فليعلم أنه الروح الأمين الذي نزل بالذكر الحكيم على قلبك من الله بإذنه له في ذلك، فهو رسول من رسل الله؛ ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل، كما أن من آمن برسول فإنه يلزمه الإيمان بجميع الرسل، وكما أن من كفر برسول فإنه يلزمه الكفر بجميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[سورة النساء: ١٥٠ –١٥١]؛ فحكم عليهم بالكفر المحقق، إذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعضهم، وكذلك من عادى جبريل فإنه عدو لله؛ لأن جبريل لا ينزل بالأمر من تلقاء نفسه، وإنما ينزل بأمر ربه كما قال: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[سورة مريم: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٩٢ –١٩٤].

ثالثاً: أما الإيمان بالرّسل، فيقتضي التّصديق بمن أرسله الله تعالى واختصّه بالنّبوّة من البشر، والإيمان بأنّهم معصومون من الخطأ، وألا يفرق بين أحد منهم كما أشارت سورة البقرة في الآية ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾[سورة البقرة: ٢٨٥] وسورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾

(٢) الجامع لأحكام القرآن (القرطبي في تفسيره للآية).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الآيات (١٥٠ -١٥٢).

قال تعالى مخاطباً خاتم أنبيائه: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٣ -١٦٤].

إنه موكبٌ واحد، موكبٌ فريد؛ يضم هذه الصفوة المختارة من بين البشر أجمعين، وغيرهم ممن قصّهم الله تعالى على نبيه الكريمﷺ في القرآن المجيد، وممن لم يقصصهُم عليه، إنه موكبٌ من شتّى الأقوام والأجناس، وشتّى البقاع والأرضين، في شتّى الآونة والأزمان، لا يفرّقهم نسبٌ ولا جنس، ولا أرضٌ ولا وطن، ولا زمنٌ ولا بيئة، كلهم آتٍ من ذلك المصدر الكريم، وكلّهم يحملُ ذلك النّور الهادي، وكلّهم تلقّى الوحيَ من الله عز وجلّ؛ فما جاء أحدٌ منهم بشيءٍ من عنده، وكلّهم أدّى مهمتَه في الإنذار والتبشير، وكلهم حاول أن يأخذ بزمام القافلة البشرية التي أُرسِل إليها إلى طريق النّور؛ واستمر ذلك النور حتى جاء للنّاس أجمعين الصادق الأمين: محمد رسول اللهﷺ خاتم النبيين.

رابعاً: والإيمان بالكتب السّماويّة يقتضي الإيمان بما أنزله الله من كتبٍ سماويّة على رسله -صلوات الله وسلامه عليهم-وهي التّوراة، والإنجيل، والزّبور، والقرآن الكريم.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر يقتضي التّصديق بهذا اليوم الذي يجمع فيه الله تعالى كل الخلائق الأولين والآخرين للحساب﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [سورة إبراهيم: ٥١]، والذي سماه الله تعالى بـ {يوم الدين} كما في سورة الفاتحة، والتصديق بما فيه من جنّة ونار وحساب وجزاء.

سادساً: الإيمان بالقدر خيره وشره؛ ويقتضي التّصديق بقدر الله الكوني وعلمه الأزلي وقضائه العادل ومشيئته النّافذة في مخلوقاته؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [سورة القمر: ٤٩]، ومعناه أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء بمقدار قدّره وقضاه، وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ١].

هذا وقـــد ورد التأكيد على (حقيقة الإيمان الكامل) في ست آياتٍ بيناتٍ في القرآن المجيد؛ منها ما هو مكيّ ومنها ما هو مدنيّ.

وذلك للتأكيد على أن هذه القاعدة (ثابتة لم تتغير ولم تتبدل طوال فترة نزول القرآن)؛ ومن ثم فلا مجال فيها للنقاش أو التفاوض.

ونزول القرآن المكي يؤكد -من ناحية أخرى- أن هذا الأمر من أوْلويّات القرآن المجيد، وأنـه أرسى قاعدته منذ العهد المكي؛ وأنـه لا مجال للمراء أو الأخذ والرد فيه؛ قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سـورة النحل: ٩٧]. فيقرر القرآن المجيد بذلك القاعدة التالية: أن العمل الصالح لا بد له من القاعدة الأصيلة التي يرتكز عليها؛ إنها قاعدة (الإيـمان الكامل) بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، إنها القاعدة التي جاءت في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ فبغير هذه القاعدة لا يقوم بناء، ولا يقبل عمل، وبغير هذه الرابطة لا يتجمع شتات الإيـمان، وبغير هـذه العقيدة لا يكون للعمل الصالح غاية.

وجاء قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [سـورة الإسراء: ١٨ -١٩] تبين الآية الكريمـة نفس القاعدة التي أرساها القرآن بدايةً؛ وهي أن الذي يريد الآخرة لا بد أن يسعى لها سعيها، فيقوم بتكاليفهـا، وينهض بتبعاتها، ويكون سعيه لها قائماً على الإيمان؛

وليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل؛ وإذا كانت نهاية الذي يريد العاجلة إلى جهنم مذمومًا مدحورًا، فإن الذي أراد الآخرة وسعى لها سعيها ينتهي إليها معززاً مكرماً مشكورا منعماً يتلقى التكريم في الملأ الأعلى جزاءً وفاقا، ثم يبين سبحانه أثر هذا التفاوت بين الفريقين فيقول عز من قائل: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٢٠-٢١].

ثم يتجلى هذا البيان يوم الدين فيقول سبحانه في سورة طه: ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ وفي هذا الموقف الصعب المملوء بالجلال والهيبة فلا تسمع فيه إلا همساً ترى الذين آمنوا مطمئنين لا يخشون ظلمًا في الحساب ولا هضمًا لما عملوا من صالحات وفق القاعدة الثابتة في قبول الأعمال عند الله.

وإلى هذا أشارت سورة الأنبياء أيضاً؛ أن أمة الرسل واحدة تقوم على عقيدة واحدة وملة واحدة، أساسها التوحيد الذي دعا إليه كل الرسل منذ أولى الرسالات إلى أخراها دون تبديل أو تغيير؛ قال تعالى: ﴿ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ۖ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٣ -٩٤] فهذا هو قانون العمل والجزاء.. لا جحود ولا كفران للعمل الصالح متى قام على قاعدة الإيمان؛ ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته، بل ليثبت للعمل الصالح وجوده، ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته، بل لتثبت للإيمان حقيقته.

وتأمل هذا الموقف من أعراب بني أسد بن خزيمة عندما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الشهادتين ولم يكونوا مؤمنين في السر، وكانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة. وجعلوا

يمنّون عليه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة الحجرات: ١٤].

فهؤلاء الأعراب يقولون: يا رسول الله أسلمنا وقاتلتك العرب ولم نقاتلك؛ فأراد الله أن يعلمهم حقيقة ما هو قائم في نفوسهم ومستقر في قلوبهم وهم يقولون هذا القول، وأنهم دخلوا في الإسلام استسلامًا، ولم تصل قلوبهم بعد إلى مرتبة الإيمان، فدلّ بهذا على أن حقيقة الإيمان لم تستقر في قلوبهم، ولم تشربها أرواحهم، فجاء قوله تعالى: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾.

ونزل القرآن الكريم يصور هذا الحوار ويستخلص تلك الحقيقة؛ أن الإيمان تصديق القلب بالله وبرسوله؛ التصديق الذي لا يَرِدُ عليه شكٌّ ولا ارتياب، التصديق المطمئن الثابت المستيقن الذي لا يتزعزع ولا يضطرب، ولا يتلجلج فيه القلب أو الشعور؛ التصديق الذي ينبثق منه الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله.

ومع هذا فإن كرم الله تعالى اقتضى أن يجزيهم على كل عمل صالح عملوه من غير نقصان؛ فهذا القَدْرُ من الدّين -وهو الإسلام -يكفي لتُحسب لهم أعمالهم الصالحة فلا تصبح هباءً منثورًا كما هو الحال بالنسبة لأعمال الكفار، ولا ينقص من أجرهم شيء عند الله ما بقوا على الطاعة والاستسلام؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وبالتالي تأتي أيةٌ نعُدّها القول الفصل في موضوعنا هذا؛ فهي تحدد المعيار الحقيقي للإيمان، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٥].

بدأت بـ (إنما) التي تفيد الحصر والقصر فهي كافة ومكفوفة و(المؤمنون) مبتدأ وخبره (الذين آمنوا بالله ورسوله...).

فالإيمان الكامل لا يكون إلا بالله ورسوله؛ (الذين آمنوا بالله ورسوله).

فعندما تطلق عبـــارة (الذين آمنوا) تكون شاملة لأركان الإيمان كاملة كما هو مقصد القرآن ومراد الله سبحانه وتعالى.

إن الإيمان الكامل هو قاعدة الحياة، لأنه الصلة الحقيقية بين الإنسان وبين هذا الوجود، وهو الرابطة التي تشد الوجود بما فيه ومن فيه إلى خالقه الواحد الديان، ومن ثم كان لابد من هذه القاعدة ليقوم هذا البناء؛ والعمل الصالح هو هذا البناء، فهو منهار من أساسه، بل هو سراب يحسبه الظمآن ماءً من شدة لمعانه حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً مادام لم يقم على قاعدته الثابتة الأصيلة؛ قال تعالى في سورة النور: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [سورة النور: ٣٩].

والعمل الصالح هو ثمرة الإيمان التي تثبت وجوده وحيويته في الضمير؛ والإسلام بالذات عقيدة متحركة وشريعة مثمرة متى تم وجودها في الضمير تحولت إلى عمل صالح يانع هو الصورة الظاهرة للإيمان المضمر، والثمرة اليانعة للجذور الممتدة في أعماق هذا الكائن الذي يسمى الإنسان.

ومن ثم يقرن القرآن دائمًا بين الإيمان والعمل الصالح كلما ذكر العمل والجزاء؛ فلا جزاء على إيمان عاطل خامل لا يعمل ولا يثمر، ولا على عمل منقطع مبتور لا يقوم على إيمان صادق.

وإذا صادفتَ ووجدتَ عملاً طيباً صادراً عن غير مؤمن فاعلم إنه مصادفة عابرة، لأنه غير مرتبط بمنهج مرسوم، ولا موصول برب الأرض والسماء؛ ومن ثم فهو يأخذ حقه من تكريم وشهرة وعطاء في الدنيا، ومارباك بظلام للعبيد.

وحتى هذه القاعدة جاءت على لسان الدعاة إلى الله تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله؛ حكى القرآن قائلاً: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ

حِسَابٍ ﴾[سورة غافر: ٤٠] إنها الحقائق التي قررها القرآن؛ يعود الرجل المؤمن فيقررها وهو يواجه فرعون وملأه في تحدٍ واضحٍ وصريح بكلمة الحق بلا تردد ولا تلعثم لا يخشى فرعون الجبار، ولا ملأه المتآمرين معه من أمثال هامان وقارون، ويقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء في دار الآخرة: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ لقد قال كلمته وبلغ رسالته وأراح ضميره... فلا يهمه ما يحدث بعد ذلك؛ غير أن كلمته أصبحت خالدة على مر الزمان.

ثم جاء القرآن في عهده المدني ليؤكد القاعدة نفسها التي أرساها في عهده المكي؛ جاء في سورة النساء قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[سورة النساء: ١٢٤].

ولكن اللافت للنظر أن هذه الآية جاءت بسبب حوار حدث بين أتباع الديانات الثلاثة؛ فلقد كان اليهود والنصارى يدَّعون أنهم: (أبناء الله وأحباؤه) وكانوا يقولون: (لن تمسنا النار إلا أياما معدودة)، وكان اليهود ولا يزالون يقولون: (إنهم شعب الله المختار)، ولعل بعض المسلمين كانت تراود نفوسهم كذلك فكرة أنهم خير أمة أخرجت للناس، وأن الله متجاوز عما يقع منهم؛ بما أنهم المسلمون، فقد ذكر المفسرون أن سبب نزولها أن أهل الأديان اختصموا؛ فقال أهل التوراة: كتابنا خير الكتب ونبينا خير الأنبياء، وقال أهل الإنجيل مثل ذلك، وقال المسلمون: كتابنا نسخ كل كتاب ونبينا خاتم الأنبياء؛ فنزلت هذه الآية[٣].

فجاء هذا النص القرآني ليرد هؤلاء وهؤلاء إلى القاعدة الأساس، ويرد الناس كلهم إلى ميزان واحد؛ هو إسلام الوجه لله تعالى، واتباع ملة إبراهيم الذي اتخذه الله خليلا وهي الإسلام؛ قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ

(٣) (عن ابن عباس رضي الله عنهما زاد المسير-ابن الجوزي -ج ٢ -الصفحة ١٩٧ تفسير ابن كثير -ابن كثير -ج ١).

ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ كما أن النص القرآني أكّد على شرط الإيمان لقبول العمل قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾.

وكلّ من سلك مسلكًا أو ذهب مذهبًا بعيدًا عن القراءة الكاملة والوحدة البنائية لآيات القرآن العزيز فهي قراءة ناقصة غير مستوفية وهي المقصودة بقوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [سورة الحجر: ٩١] لأن القرآن جاء موضحا ومبينا لكل شيء، وهذه الألفاظ الصريحة تخالف ما ذهب إليه البعض عند تناوله لقوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره).. إذ رأى أن عموم النص يشمل المسلم وغير المسلم. بينما النصوص الصريحة الأخرى المقيدة لهذا العموم تنفي هذا تمامًا؛ إذ إن هؤلاء قد يقعون تحت طائلة قوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٥ -٨٦].

وقد حذر القرآن المجيد في آياتٍ أخريات أشدّ تحذير من ذلك الفكر المنحرف القائم على المشاقة بين الله ورسوله أو التفريق بين الله ورسوله؛ وفي ذلك يقول رب العزة سبحانه: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة الأنفال: ١٢ -١٤].

فكل هذا الجزاء بسبب أنهم شاقّوا اللهَ ورسولَه أي اتخذوا لهم شقاً غير شقّ الله ورسوله، وصفًا غير صفّ الله ورسوله. وبذلك كانوا ممن يصدّون عن سبيل الله،

ويبغونها عوجا.

وإذا كان كفار مكة قد استحقوا هذه العقوبة التي سبق بيانها فإن اليهود بسبب سوء نيّتهم وبسبب كراهيّتهم للنبيّ الخاتم وجحودهم لرسالته استحقّوا أشدّ من ذلك؛ قال الله تعالى في حقهم: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[سورة الحشر: ٢ -٤].

وقد تآمروا على الدعوة الإسلامية وأرادوا القضاء عليها في المدينة المنورة فكان منهم من سار إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام، وكان من أشرافهم ممن سار إلى خيبر سلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وحي بن أخطب، ممن ورد ذكرهم بعد ذلك في تأليب المشركين على المسلمين في غزوة الأحزاب ووقعة بني قريظة "في سورة الأحزاب" وكان لبعضهم كذلك ذكر في فتح خيبر "في سورة الفتح".

ومن ثم نجد أن علة استحقاقهم للعذاب هي المشاقة التي تعني أنّهم اتّخذوا لهم شقًا غير شقّ الله، وجانبًا غير جانبه؛ وقد جعل الله جانبه هو جانب رسولِهِ وطاعةَ رسولِهِ هي طاعته، وهذا المصير وما استحقه أهل الكتاب من عقاب يجعل الإنسان يفكر ألف مرة قبل التحدث حول هذه المشاقة أو الدعوة إليها تقرباً وتزلفًا لإرضاء الآخرين.

يلاحظ تسمية القرآن ليهود بني النضير بأنهم (الذين كفروا من أهل الكتاب) وتكرار هذه الصفة في السورة يؤكد حقيقة أنهم كفروا بدين الله في صورته العليا التي جاء بها النبي الخاتم محمد؛ وقد كان اليهود ينتظرونه ويتوقعونه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٨٩ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ

أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سورة البقرة: ٨٩-٩٠] وهو تصرف يهودي قبيح يستحق الطرد والغضب لشناعته وقبحه؛ ومن ثم يصب عليهم اللعنة ويصمهم بالكفر {فلعنة الله على الكافرين}.

لهذا كله وقف اليهود من الدعوة الإسلامية هذا الموقف المعاند الذي تصفه سورة البقرة، موضحةً أن الذي حملهم على هذا كله هو حسدهم لرسول الله الخاتم؛ أن اختاره الله لحمل الرسالة التي انتظروها فيهم، ولا شك أن هذا يعدُّ بغيًا منهم وظلمًا؛ فباؤا من هذا الظلم بغضب على غضب; ويوم القيامة ينتظرهم عذاب مهين، جزاء الاستكبار والحسد والبغي الذميم الذي قابلوا به خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومِن ثَمَّ اتخذوا سبيلاً غير سبيل المؤمنين وسلكوا طريقًا يهديهم إلى طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً.

وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ (أَيْ: يخالفه ويسلك طريقًا غيرَ طريقه) مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [سورة النساء: ١١٥].

وعبارة { مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى} تدل على أنهم عرفوا الحق وعرفوا طريق الإيمان ثم حادوا واتبعوا غير سبيل المؤمنين، وسلكوا شقًا مقابلًا للشقّ الذي يأخذه الآخر، ومن ثم فإن الذي يشاق الرسول محمداً هو الذي يأخذ له شقًا وجانبًا وصفًا غير الصف والجانب والشق الذي يأخذه النبى، ومعنى هذا أن يتخذ له منهجا للحياة كلها غير المنهج الذي اختاره الله لرسوله، وأن يختار له طريقا غير الطريق الذي اختاره الله لرسوله.

فالرسولﷺ جاء يحمل من عند الله منهجا كاملا للحياة يشتمل على العقيدة والأخلاق والشعائر التعبدية، كما يشتمل على الشريعة والأحكام المنظمة لجوانب الحياة البشرية كلها.

ومن ثم جاءت الآية التالية لهذه الآية

لتبين أن هذا الفعل وهذا التصرف يوقع صاحبَه في الشرك الذي يورد صاحبه النار وبئس القرار؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء: ١١٦] وليس حتماً أن يكون الشرك اتخاذ آلهة مع الله بل نرى أن الاعتراف لبعض البشر بخصائص إلهية يعدُّ شركًا كإشراك اليهود والنصارى الذي حكاه القرآن من أنهم ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[سورة التوبة: ٣١] ولم يكونوا عبدوهم مع الله؛ ولكن كانوا فقط اعترفوا لهم بحق التشريع لهم من دون الله؛ فحرموا عليهم وأحلوا لهم، فاتبعوهم في هذا، ومنحوهم خاصية من خصائص الألوهية! فحقَّ عليهم وصفُ الشرك؛ والسبب في تعظيم جريمة الشرك وخروجها من دائرة المغفرة أن من يشرك بالله يخرج عن حدود الخير والصلاح تماما؛ وتفسد كل فطرته بحيث لا تصلح أبدا لقبول الخير والصلاح ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾.

أقول هذا لمن اجتزأ آية من كتاب الله تعالى أو عبارة أو لم يُكلّف نفسَه مؤونة البحث والتّحري والدّقّة أو لم يُقدِّر أمانة الكلمة التي يحملها أو كُلّف بحملها من أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[سورة فاطر: ٣٢] ولا شك أن هذا النصّ القرآني الحكيم يوحي بضخامة التبعة الناشئة عن هذا الاصطفاء وعن تلك الوراثة؛ وهي تبعة ضخمة ذات تكاليف سامية، وقد أكرم الله عز وجلّ هذه الأمة بالاصطفاء للوراثة وحمل الأمانة، ولكن فضل الله شمل الأصناف الثلاثة جميعاً؛ فكلهم انتهى إلى الجنة وإلى النعيم المقيم على تفاوت بينهم في الدرجات. ولا نعني بهم الحكام الظالمين الذين وجّهوا القرآن الى وجهتهم وحادوا الله في حكمه والنبي الاعظم في ذريته ونسوا قوله -تعالى-: ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾.

الخاتمـــــــة:

تـعـمـدتُ أن تـكـونَ هـذه الـرسـالـةُ مختصرةً حتى لا يتكاسلَ أحدٌ عن قراءتها والاستفادة منها؛ فجاءت هكذا واضحة سريعة التناول سهلة الهضم لكل صاحب لبّ سويّ وقلب سليم

فلا يجوز ولا يصح أن نأخذ من كتاب الله تعالى آيةً أو كلمةً ننتزعُها من سياقها ومن وحدتها البنائية، ونبني عليها أحكاماً وتشريعاتٍ ما أنزل اللهُ بها من سلطان؛ ومن فعل ذلك كان من المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين، أو كان ممن يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض؛ وأيّاً كان الأمر فإن من يتعرض للدراسات الإسلامية ينبغي أن يكون ملماً بالقواعد والأصول؛ حتى يأتي بحثه وحكمه مطابقاً لمراد الشرع.